

ابونعيم في الحلية: لا يزال الاربعون رجلا من أمتي قلوبهم على قلب
ابراهيم يدفع بهم عن أهل الارض البلاء، يقال لهم الابدال، انهم لم
يدركوه بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة. قال ابن مسعود راويه: فَبِمَ
أدركوه يا رسول الله؟ قال: بالسخاء والنصيحة للمسلمين. وكما روى
ابونعيم في الحلية وقال بعض المحدثين: انه دال على وجود القطب
- وان الله تعالى في كل بدعة كيد بها الاسلام وأهله وليا صالحا يذب
عنه ويتكلم بعلاماته، فاغتنموا حضور تلك المجالس بالذب عن
الضعفاء وتولكوا على الله وكفى بالله وكيلا -، وكما روى الترمذي وابو
نعيم: في كل قرن من أمتي سابقون. وفي رواية لابي نعيم: لكل قرن
من أمتي سابقون. وكما روى المحدثون حتى صار متواترا: يبعث
الله لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها.
وكما روى الشيخان، البخاري ومسلم، في صحيحهما وغيرهما
بطرق كثيرة حتى كادت ان تكون متواترة، وبلغت في الشهرة حدا
يعرفه كل أحد من المسلمين، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على
الحق حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون. وقال البخاري: وهم أهل
العالم. عني بهم: أهل العلم الظاهري والعلم الباطني، بداهة أن
من كان له العلم الظاهر ولم يكن بشرائه متوجهاً إلى جانب

القدس فهو ليس بظاهر على الحق ، بل ظاهر على الدنيا وجيفتها
ويوشك ان يخرب الدين ويروج سلعة الكافرين كما هو معلوم لكل من
أنصف ، وقد جمع اغلب طرق هذا الحديث وغيره ابن حجر رضي الله عنه في
الفتاوى الخاتمة في بحث القطب والاولياء ، فائدتان :

● الأولى : اختلاف العدد في طرق الاحاديث مبني على ما قدمنا من أن
ذكر وقتا الرؤساء ، وآخر المعاونين ، وآخر الضباط ، مثلا .
● الثانية : ان المراد ، بكون بعضهم في مكة والشام أو العراق ليس أن
يكون مكانهم هناك ، بل المراد : ان مركز أمرهم ومحل شغلهم هناك
وان كانت أجسادهم وأمكنتهم في غير هذا المكان إذ من بلغ مرتبة
الولاية الأصيلة ، يصرف في أي مكان شاء مع ان جسمه في غير هذا
المكان ، الا يرى ان الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم والأئمة الطاهرين رضي الله عنهم كانوا
أقطابا باتفاق المسلمين مع ان أجسادهم لم تكن بمكة المعظمة
حين الخلافة والولاية ، واعلم ان هذه الأحاديث ، وان كان تفاصيل
بعضها آحادا ، لكن القدر المشترك بينهما وهو وجود الاولياء
المتصرفين ، سواء امواتا أو أحياء ، والاستغاثة بهم ونصرهم الناس
وجواز ندائهم ، إلى غير ذلك متواتر متيقن ، كما ان جود حاتم وشجاعة
سيدنا علي رضي الله عنه متواتر المعنى ، مع ان تفاصيل أفراد الجود والشجاعة

أحاد، فقد دلّت تلك الأحاديث دلالة قطعية لا يشوبها ريب إلا من
خذله الله وكابر مقتضى عقله على أمور:

● الأول: وجود مأمورين باطنيين يتصرفون في العالم، وقد ذكر
الله تعالى في القرآن العظيم حكاية خرق سيدنا الخضر عليه السلام السفينة
لنجاتها من غضب الملك إياها، وقتل الغلام لانجاء أبيه من الطغيان
والكفر بسببه، وبناء الجدار على كنز اليتيمين ببركة صلاح أبيهما
السابع ليبلغا كنزهما بعد بلوغهما، وانكار سيدنا موسى عليه السلام، على
نبينا وعليه الصلاة والسلام، حتى كان سببا للفراق بينهما ليرشد
الناس إلى أن للعالم باطنا وظاهرا، وأن للعالم بالنسبة إلى باطنه
مأمورين باطنيين لا يحس غير الأصفياء بأفعالهم، سواء علم غيرهم
بأجسادهم أم لا؛ إذ لو علم من في السفينة غير سيدنا موسى عليه السلام
بالخرق لمنعه أشد منع، أو بقتل الغلام فكذلك بل اقتصوا منه. وأن
من أنكر أفعال المأمورين الباطنيين الذين هم من خواص عباد الله
المطلعين على الأسرار والدقائق، يكون سببا لتبعيده عن ساحة
القرب، وبعثا لفراقه عن ادراك الحقائق، وأن الله قد يأمر من هو
أدنى رتبة مع وجود أعلى منه بتلك الدقائق، إذ سيدنا موسى عليه السلام
كان نبيا ورسولا ومن أولى العزم حتى قال بعضهم إنه أفضل الأنبياء بعد

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وسيدنا الخضر قيل ولي وقيل نبي . وقد علم سيدنا موسى حكم الافعال الثلاثة، وكان إنكاره بحسب الصورة ليرشد الناس الى ما ذكرنا، كما ذكره بعض شراح البخاري ومحشيه. فيا أيها الاخوان ان انصفتكم كفاكم هذه القصة وأيقنتم بوجود المأمورين الباطنيين والاستغاثة بهم، وكان هذا من منطوق هذه الآيات ومن أصول الدين الحنيف . ويدل على ذلك، اي وجود مأمورين باطنيين والاستغاثة بهم، ما في صحيح البخاري من حديث قتل عاصم بن ثابت الانصاري ومن معه حين بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم عينا حيث قال : فقال عاصم بن ثابت : أيها القوم، اما انا فلا انزل في ذمة كافر، ثم قال : اللهم اخبرنا نبيك صلى الله عليه وسلم، الى أن قال : وبعث ناس من قريش الى عاصم بن ثابت حين حدثوا انه قتل أن يؤتوا بشيء منه يعرف، وكان قتل رجلا عظيما من عظمائهم، فبعث الله لعاصم مثل الظلة من الدبر، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئا، أي لأنه كان حلف ان لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك، فبراهه قسمه بما استغاث به حيث قال : اللهم أخبرنا نبيك . والدبر - بفتح المهملة واسكان الموحدة - ذكور النحل أي : الزنابير .

● الثاني: جواز نداء الغائب ولو كان بعيدا غاية البعد، وسماع

الغائب النداء، كما في نداء أمير المؤمنين عمر سارية رضي الله عنه وسماعه
 كلامه مع ان بينهما مراحل كثيرة. ومن العجائب أن أحاد الكفرة، الأعداء
 لله تعالى والمسلمين اخترعوا، بأمداد الله واقداره إياهم، آلات وأدوات
 يتكلمون بها ويوصلون بها اصواتهم الى مراحل بعيدة بحيث لو انكرها
 أحد نسب الى غاية الجهل والعناد بل الجنون، وينكرون ان يمكن
 لله ان يخلق آلات باطنة لأوليائه الخاصة وعباده المخلص يوصلون بها
 اصواتهم الى غيرهم ويسمعونها بها لهم. فكما انهم يستهزؤون بمن
 انكر آلات الكفرة، كذلك يستهزئ الله وخواص عباده بهم لانكارهم
 الآلات الباطنة، وما ذلك إلا لأنهم ليس لهم عيون يبصرون بها،
 ولا آذان يسمعون بها ولا قلوب يعقلون بها، فمثلهم كمثل الذي ينطق
 بما لا يسمع الادعاء ونداء، أي كصائت لا يعلم صوته على من لا يسمع
 إلا صوتا ولا يفهم معناه، وإلا فساحات ميادين الباطن اوسع من
 مضايق الظاهر بكثير، بل مثل الظاهر مع الباطن كمثل العدم مع الوجود.
 ● الثالث: كون الاموات احياء حقيقة، وجواز نداءهم والاستغاثة بهم
 سواء تعلق ارواحهم باجسادهم في القبور قبل البلى، وبعبعب
 الذنب بعده، كما هو رأي أهل السنة، ودل عليه آيات وأحاديث
 كما بين في الكلام، أولا، كما هو رأي غيرهم، اذ بقاء الارواح متفق

عليه بين أهل الملل والحكماء كما في الحكمة والكلام، ويقطع بذلك حديث الكتب الصالح كما في صحيح البخاري في بحث بدر من قوله صلى الله عليه وسلم هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فقال نافع، قال عبد الله قال ناس من أصحابه، يا رسول الله، تنادي ناسا أمواتا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أستمع بأسمع لما قلت منهم.

ولعل المنكر المعاند بقوله: هذا آحاد لا يفيد القطع، ومعارض لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ - فاطر ٢٢ - والجواب: أنه وإن كان خبر واحد، لكن لتأييده بآيات وأحاديث صار المعنى المأخوذ منه متواترا ولو سلم فلكون راويه عدلا ثقة فهو من المقبولات وهي في التيقن والجزم كالتواتر كما بين في الكلام على أنه يجب أن يقول كل مسلم ومسلمة في كل صلاة من صلواتهم: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. وهل هذا إلا نداء الغائب الميت؟ فأصل مشروعيته وجوب هذا في كل صلاة في اليوم والليل، ارشاد للناس - العامة والخاصة - إلى حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومثله الأصفياء، وإلى جواز نداء الغائب ومن مات بحسب الصورة، وكان حيا حقيقة.

والعجب ممن يجري هذا على لسانه في كل صلاة ولا يعام حكيمته مع أنه يدعي أنه بلغ مرتبة يطعن في الأولياء والعلماء، وبأي تأويل يؤول

المنكر هذا؟ فنحن نؤول بعين ما ذكره مثل يا عبد القادر الجيلي
وقد اتفقت الكتب الحديثية الصحاح وكتب الفقه والمذاهب على
ندب ان يقول زائر القبور: سلام عليكم دار قوم مؤمنين انتم سابقون
ونحن لاحقون بكم ان شاء الله تعالى آمين ونستودعكم شهادة
ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله، وهذا متواتر ومشهور بين الخاصة
والعامة، حتى كاد أن يلحق بالضروريات، فدل على حياة الميت
وجواز ندائه والاستغاثة به في استيداع الشهادتين دلالة ضرورة
قطعية لا ينكرها إلا المعاند.

واما قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ - فاطر ٢٢. فبمعنى:
انك لا توصل اليهم كلامك بالذات، بل بخلق الله الصوت في لسانك
واسمعه اياهم بواسطة، على ان المراد بمن في القبور: الكفرة، أي:
أنت لا تقدر أن تهدي الكفرة وتسمعهم اسماعا يهديهم الى الحق
بدليل قوله ﴿ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ﴾ - النمل ٨١.

● الرابع: اعانة الله من توصل بالأنبياء والأولياء، سواء غائبين أو
حاضرين، موتى أو أحياء، محسوسين أو لا، ويكفيها ما مر وما رواه
الحفاظ الجزري والسيوطي والطبراني، وقال: إنه مجرب كثير،
أن رسول الله ﷺ أمر من انفلتت دابته بأرض فلاة أن يقول: يا عباد الله

احبسوا احبسوا احبسوا . وفي رواية أخرى : اذا اراد عوننا فليقل : يا عباد
 الله اعينوني ، اذ المراد بعباد الله : كل عبد صالح ، سواء ميتاً أو حياً ، ملكاً
 أو بشراً ، غائباً أو حاضراً ، والتخصيص تحكم صرف ، خلاف استغراق
 الظاهر واطلاقه . وقال صاحب نور الانصاف في كشف ظلمة الخلاف
 واخرج ابن عساكر في تاريخه ، وابن الجوزي في مشير الغرام ، وابن النجار
 بأسانيدهم الى محمد بن حرب الهلالي قال : أتيت قبر النبي ﷺ فزرتة
 فجلست بحدائه ، وذكر نحو ما سيأتي . وروى السمعاني عن سيدنا
 علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه انه قال : فقدم علينا اعرابي بعدما دفنا
 رسول الله بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه على قبره وحشا بترابه على رأسه
 وقال : يا رسول الله ، قلتَ فسمعنا قولك ، ووعيتَ عن الله سبحانه
 وتعالى ووعينا عنك ، وكان فيما انزل عليك ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا
 أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا
 رَحِيمًا ﴾ - النساء - ٦٤ . وقد ظلمت نفسي وجئتك لتستغفر لي . فنودي
 من القبر ان قد غفر لك . وقد أطبق المسلمون على التوسل به والالتجاء
 إليه في المهمات ، وقد تواتر أن السيدة زينب بنت البتول رضي الله عنها لما مرت
 بمصرع الحسين رضي الله عنه صاحت : يا محمداه ، صلى عليك ملائكة السماء
 هذا الحسين بالخبراء مزمل بالدماء . ذكر ذلك ابن الأثير وغيره ، فشكت

بنت رسول الله ﷺ الحالة لجنابه الكريم، وناذته واستشفعت به
فغار الله لنبيه، وما مضى يسير من الزمان حتى قطع الله دابر أعدائهم
ومزقهم كل ممزق. قال في الكشف نقلا عن لييد عند الكلام على قوله

تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ - المائدة - ٥ :

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ● ألا كل ذي لب الى الله واسل
وقد توسل الانبياء والمرسلون، عليهم الصلاة والسلام، بنبينا محمد قبل
خلقه، كما صحح ذلك عمدة الثقة، منهم الحاكم وصحح اسناده. وعن
امير المؤمنين سيدنا عمر رضي الله عنه انه قال: قال رسول الله ﷺ: لما اقترف آدم
عليه السلام الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد لما غفرت لي. فقال الله: يا آدم
كيف عرفت محمدا ولم اخلقه؟ قال: يا رب لما خلقتني بيديك ونفخت في
من روحي رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد
رسول الله، فعرفت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك
قال: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي، إذ سألتني بحقه فقد
غفرت لك، ولولا محمد لما خلقتك. رواه الطبراني وزاد: وهو آخر الانبياء
وقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ - البقرة - ٣٧ - إشارة
الى هذا والى غيره مما رواه ابن عباس رضي الله عنهما كما نقله البيضاوي في تفسيره
إذ لا بأس بضم هذا الى ذلك بأن دعا بهما، روى كل واحد من الشقين

وروى جماعة، منهم: الترمذي والنسائي في الدعوات والبيهقي ان رجلا
ضريرا أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله ان يعافيني. قال: ان شئت دعوت
وان شئت صبرت فهو خير لك. قال: فادع الله. فأمره ان يتوضأ
فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم اني اسألك واتوجه اليك
بنبيك محمد ﷺ بني الرحمة، يا محمد اني توجهت بك الى ربي في حاجتي
لتتقضى لي، اللهم شفّعه في. فقام وقد أبصر. فدل ذلك على ان التوسل
به ﷺ ليدعوا للناس، ونداؤه في الأدعية مع نداء الله أو بدونه مشروع
ومأمور به. وأخرج الطبراني في الاوسط والكبير عن انس بن مالك
رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله ﷺ
فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمي بعد أمي، وذكر ثناءه عليها
وتكفينها ببردة، قال: ثم دعا رسول الله ﷺ اسامة بن زيد و ابا ايوب
الانصاري وعمر بن الخطاب وغلاما اسود يحفرون، فحفروا قبرها
فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده واخرج ترابه بيده، فلما
فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه، ثم قال: الله الذي يحيي ويميت
وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ووسع عليهما مدخلها
بحق نبيك والانبياء الذين من قبله فإنك ارحم الراحمين. وكبر عليها
اربعاً وادخلها اللحد هو والعباس وابوبكر الصديق، رضي الله عنهم.

فقد توسل النبي ﷺ بذاته الشريفة والانباء عليه السلام. وروى الطبراني
عن عثمان بن حنيف ان رجلا كان يختلف الى عثمان رضي الله عنه في حاجة
له فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته ، فلقي ابن حنيف فشكا اليه
ذلك فقال : ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم قل :
اللهم اني اسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد ﷺ وبي الرحمة ، يا محمد اني اتوجه
بك الى ربك لتقضي حاجتي ، ثم تذكر حاجتك . فانطلق الرجل فصنع
ما قال ثم جاء الى باب عثمان رضي الله عنه ، فجاءه البواب حتى أخذ بيده فأدخله
على عثمان فأجلسه على الطنفسة ، فقال : حاجتك ، فذكر حاجته
وقضاها له ، ثم قال : ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة ، قال : ما كانت
لك من حاجة فاذكرها . وفي صحيح البخاري ان امرأة مصروعة أتت
النبي ﷺ فقالت : ادع الله ان يشفيني ، فقال : إن شئت دعوت لك
فشفاك ، وان شئت صبرت فدخلت الجنة ، فقالت : اصبر ، ولكن
ادع لي ان لا انكشف حال الصرع ، فلا ترى عورتى ، فدعا لها . وروى
البخاري في علامات النبوة في صحيحه عن حميد بن عبد الرحمن ، رأيت
السائب بن يزيد ابن اربع وتسعين سنة جلدا معتدلا . فقال : قد علمت
ما تمتع به سمعي وبصري الا بدعاء رسول الله ﷺ ، ان خالتي ذهبت
بي اليه فقالت : يا رسول الله ، ان ابن اختي شاك ، فادع الله ، قال : فدعا

لي رسول الله ﷺ. وزاد في رواية اخرى: فمسح راسي ودعالي بالبركة
 وتوضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم
 بين كتفيه. وروى البخاري أيضا هناك في صحيحه عن الحكم قال
 سمعت ابا جحيفة قال: خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء
 فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين، وبين يديه عنزة وزاد
 فيه عون عن أبيه ابي جحيفة قال: كان يمر من ورائها المارة وقام الناس
 فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، قال: فاخذت بيده
 فوضعتها على وجهي، فإذا هي ابرد من الثلج وأطيب رائحة من
 المسك، فدل ذلك على جواز تقبيل يد الصلحاء ومسحها على البدن
 للتبرك والاستعانة. وروى البخاري أيضا في صحيحه بطرق منها
 قبيل باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال
 رسول الله ﷺ: ابسط رداءك. فبسطته، فغرف فيه بيده ثم قال:
 ضمه. فضممته، فما نسيت حديثا بعده. ولا تخفي رموز هذا
 الحديث الشريف على أهله الاستعانة بالصلحاء ونداءهم غيبة وحضورا
 وحيا وميتا، والتوسل بهم شرع قديم ومأمور به من النبي ﷺ أمرا
 قوليا وتقريريا، ومجمع عليه بين الأصحاب رضي الله عنهم ومن بعدهم إلى
 زماننا هذا، بحيث لا ينكره الا من جعل الله هواه واتبع الضلال

واجتنب الهدى، وكانت الامارة بالسوء والمنكر تقرأ عليه ﴿ فَلَ
تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ المين ١٨. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾ الاعراف ١٩٤. الى غير ذلك من الآيات
والاحاديث، وتقول له: لا تسمع لما ذكر لأنه معارض بمثل هذه... ونحن
نقول: لامعارضة أصلا، فإن امثال هذه انما هي لمن يعتقد ان غير الله
مؤثر بالذات، ونحن لا ننكر كفره. وفرق بين جعل الشخص شفيعا
وبين جعله مؤثرا بالذات، على ان المراد بالدعاء: العبادة، ولا نزاع في ان
عبادة غيره تعالى كفر واشراك.

واما الوسائل المعاشية الاختيارية، فمثلا الاكل والشرب لبقاء البدن
والتداوي لدفع المرض، وتناول الفواكه والادم للتقوية، والاستعانة بمثل
البقر للحث، والكوز في شرب الماء، والبندق والاحباب لدفع العدو،
والناس في حمل العدل على الدابة، والاستعانة بالاساتذة والكتب
لتعلم العلوم والصناعات، والاستغاثة بالصلحاء كما مر، الى غير
ذلك من الوسائل المعاشية التي لا يجهلها الصبي والمجنون فضلا عن
العاقل البالغ و اشار اليه القرآن العظيم في مواضع حيث أمد النبي صلى الله
عليه وسلم في مواطن كثيرة بالملائكة جريا على عادته من تحصيل الاشياء
بالاسباب الظاهرة والباطنة، وأشار في كل موضع إلى أن هذه وسائل

عادية وان الناصر حقيقة هو الله، فقال: ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ

عِنْدَ اللَّهِ ﴾ - آل عمران ١١٦ - وقال: ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴾

- الانفال ٦٣ - وقال: ﴿ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ - الأنفال ٦٤ -

اشارة الى ان من عادته ان يجعل التأثير العادي شفعا للتأثير الحقيقي

وقال: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ

بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴾ - الأنفال ٤ - اشارة الى ان من استغاث الله

أغاثه، لكنه كثيرا بالوسائل العادية، ومنها تقبيل أيدي الصلحاء كما

مر من حديث ابي جحيفة، وكما روى الغزالي، حجة الاسلام، في

كتبه عن النبي ﷺ من ندب تقبيل أيدي الصلحاء وتبركا... الخ،

والنساء الزوجات شهوة، والأولاد والأحباب شفقة. وروى ابو داود

والبخاري في الادب المفرد عن زراع رضي الله عنه وكان في وفد عبد القيس قال

لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله

ﷺ فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في آخر حديث: فدنونا من النبي ﷺ

وقبلنا يديه - رواه ابو داود - . وروى أيضا ان فاطمة رضي الله عنها إذا دخل

عليها النبي ﷺ قامت اليه فاخذت يده فقبلتها . وروى الطبراني

عن كعب بن مالك رضي الله عنه انه لما نزل عنده النبي ﷺ فأخذ بيده

فقبلها . وأخرج الحاكم وصححه في مستدركه عن بريدة ان رجلا

أتى النبي ﷺ فقبل رأسه ورجله . واخرج الترمذي ان قوما من اليهود
قبلوا يد النبي ﷺ ورجليه . فعدم منع النبي ﷺ عن التقبيل أمر
تقريبي للتقبيل ورضاء به . وبالجملة : من راجع سير النبي ﷺ
والاصحاب والعلماء رضيهم وجد ذلك متواترا متيقنا ، وفي ما ذكرنا
كفاية لمن أنصف .

واما الوسائل المعادية فكثيرة ، ومنها الوسائل المعاشية
الاضطرارية والاختيارية المارة ، اذ لولا كمال البدن وقوته لم يقدر
الشخص على كسب المعارف الربانية واقتراف الحسنات واجتناب
السيئات . وتزيد الوسائل المعادية بأشياء آخر ، فمن الوسائل
المعادية : الارواح المجردة ، اذ شأن الروح المجرى الانساني الخير
المحض والوصول الى الله تعالى وزيادة القرب الى ساحة القدس
والاستغراق في التجليات ، ولذا قال : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾
- الاسراء - ٨٥ وجعله شفعا للملائكة في مواضع كقوله ﴿ تَنْزِيلُ الْمَلَكَةِ
وَالرُّوحِ ﴾ - القدر - . وأضافه الى نفسه ، فقال : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِنْ رُوحِي ﴾ - الحجر - ٢٩ . ولولا ارتباطه بالنفس لامارة وتنزله من العالم
النوراني العلوي الى العالم الظلماني السفلي لم يصدر منه شرك
ولا كفر ولا فسق ولا كبيرة ولا صغيرة . ومنها : انزال الكتب السماوية

وارسال الرسل عليهم السلام، وتوسعة العلوم الظاهرة والباطنة، والعلماء
الربانيون من الاولياء وعلماء الظاهر، فإن كلام هؤلاء هداة الى الله
تعالى كما صرحت به الآيات والأحاديث واجمع عليه العلماء، ويدركه
الخاصة والعامة. ومنها: الأمكنة المباركة والأزمنة المباركة، ألا ترون
ان الله جعل في كل ملة يوماً مباركا، كالمسبب لليهود، والاحد للنصارى
والجمعة ورمضان والعيدين للمسلمين، وجعل ليلة القدر خيرا من
ألف شهر، وفضل ستة من شوال وتسع من ذي الحجة، الى غير
ذلك من الايام الدال على شرفها وفضلها الاحاديث، وذلك
مذكور في كل كتب مذهب من المذاهب الاسلامية، وألا تعلمون أن
الله جعل لكل ملة قبلة كالكعبة المعظمة والبيت المقدس الشريف،
وجعل عرفات ومنى ومزدلفة وغيرها من المساجد، الى غير ذلك مما
يعلمه كل أحد، وجعل تلك الأمكنة والأزمنة مظاهر للتجليات،
والا تدرون انه ورد في الاحاديث الصحيحة ان الاصحاب رضوا عنهم
كانوا يلتمسون من النبي ﷺ أن يصلي في زاوية من زوايا بيوتهم
حتى يصير مباركة فيصلوا فيها، وتصير سببا لزيادة فضل صلواتهم
كما روى البخاري في صحيحه ان عتبان بن مالك وهو من أصحاب
رسول الله ﷺ شهد بدرا من الأنصار، انه أتى رسول الله ﷺ

فقال: يا رسول الله، قد أنكرت بصري، وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت
الامطار سال الوادي الذي بيني وبينهم، ولم استطع ان آتي مسجدهم
فأصلي بهم، وددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأخذته
مصلي. فقال له رسول الله ﷺ سأفعل ان شاء الله. فقال عتبان:
فخدا رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله
فأذنت له، فلم يجلس حين دخل البيت، ثم قال: أين تحب أن أصلي
في بيتك؟ قال: فأشرت له الى ناحية من البيت، فقام رسول الله
ﷺ فكبر، فقمنا فصففنا، فصلى ركعتين ثم سلم. وفي البخاري
ايضا ان ابن عمر رضي الله عنهما تحرى الموضع الذي صلى فيه النبي ﷺ من
الكعبة فصلى فيها. وفيه أيضا، في باب المساجد التي على طرق
المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ ان حبر الصحابة ابن عمر
رضي الله عنهما كان يتحرى المواضع التي صلى فيها النبي ﷺ فيصلى فيها.
وفيه أيضا ان الأصحاب رضي الله عنهم كانوا يتحرون الشجرة التي بايع النبي
ﷺ الاصحاب تحتها في الحديبية؛ فدل كل ذلك على أن الأمكنة
والازمنة المباركة كضرائح الانبياء والاولياء وسائل معادية ومعاشية
وأسباب للتبرك بها، ومثلها كمثل مكان زينه أحد ونشرفيه بسطا
كثيرة وطعاما لذيذا يبقيان مدة كثيرة، فمن كان له شامة وذائقة

وتحرى ذلك المكان ليطيب شامته وذائقته، ومن لا كالجعل يفرمه
وعسى ان يقول المنكر: قد قال صلى الله عليه بطرق كثيرة: لعن الله اليهود اتخذوا
قبور انبيائهم مساجد. وثبت أيضا أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه نهى
ان يصلي الناس في المواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وهذا يناه
ما مر، قلنا في جوابه: كان تعظيم الأمكنة والأزمنة والضرخ والأرواح
والاموات والاحياء شرعة ومنهاجا في كل ملة ودين، لكن الملل
السابقة حرفوا دينهم جهلا أو عنادا، فكانوا يعظمون ما ذكر
لذاته، فتدرجوا في ذلك الى ان زعموا ان هؤلاء مؤثرات بالذات،
وافرط جهلتهم حتى ظنوا ان تماثيل الصلحاء آلهة، فصاروا مشركين
فدفع الله ذلك في القرآن بآيات، وأشار الى أن فضل ذلك ليس لذاته،
بل فضل الكعبة مثلا لأنها مظاهر فقال: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى
الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ - البقرة ١٧٧
وقال بعد أمره بالتوجه الى الكعبة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ - البقرة ١١٥